المجلس التاسع

القصيدة:

لَمْ أَنْسَهُ ثاوٍ عَلَى حَرِّ الثَّرى.

الموضوع:

الموتُ.

المصيبة:

شهادةُ القاسمِ بْنِ الحَسَنْ (ع).

صـــلى الله عليـــك يـــا رســـول الله وعلـــــى آلـــــك المظلـــــومين
صـــلى الله عليـــك يـــا اباعبـــد الله وعلـــى ولـــدِكَ شـــبيهِ رســـولِ الله
علـي الأكبـر بـاب الحـوائج إلـى الله لعـــــن الله الظـــــالمين لكـــــم

يـا ليتنـا كنّـا معكم فنفـوز والله فـوزا عظيمـاً

لَـمْ أَنْسَـهُ ثَـاوٍ عَلَـى حَـرِّ الثَـرى وَبَنُـو أَبِيـهِ كَالأَضـاحِي ثَاوِيَـه
فَـوْقَ الرِّمـاحِ رُؤوسُـهُمْ مَشْـهُورَةٌ وَجُسُـومُهُمْ تَحْـتَ السَـنابِكِ عَارِيَـه
قَـدْ غُسِّـلُوا بِـدَمِ الرِّقـابِ وَكُفِّنُـوا مِـنْ نَسْـجِ هَاتِيـكَ الرِّيـاحِ السَّـافِيَه
وَالقَاسِـمُ بـنُ المُجْتَبَـى مَـا بَيْـنَهُم وَجَبِينُـهُ يَزْهُـو كَشَـمْسٍ ضَـاحِيَه
لَـمْ أَنْسَـهُ بَـيْنَ الرِّجـالِ وَعُمْـرُهُ يـا لِلْبَرِيَّـةِ خَمْسَـةٌ وَثَمانِيَـه
حَتَّـى إذا أَرْدَوْهُ مُلْقَـىً لِلْثَـرى بِـدِماءِ وَجْنَتِـهِ المُضـيئَةِ قانِيَـه
نَـادَى أَلَا يـا عَـمُّ أدرِكنِـي فَقَـدْ وَزَّعْـنَ أَعْضـائِي السُّـيوفُ الماضِيَه
فَأَتَـاهُ يُسْـرِعُ بَـالخُطَى وَدُمُوعُـهُ لِـلأَرْضِ مِـنْ عَيْنَيْـهِ تُهْمَـى جَارِيَـه

(نعي):

يعمِّـي مـن ضـرب هامتـك نصـين يبعـد اهلـي اصـواب اليوجعـك ويـن
يعمـي اشـلون أشـيلك للصـواوين وانتـه مـن الضـرب جسـمك مخـذم
شـاله او للمخـيم بيـه سـدّر وحـط جاسـم يـويلي الصـف الأكبـر
گعـد مـا بيـنهم والـدّمع فجّـر تشـب نـاره او عليـه اتـراكم الهـم
يمـه ياجاسـم غـدت للحـرم حنّـه لمـن شـافته أمـه ابدمّـه تحنّـه

(أبوذيّة):

أنـا ردتـك مـا ردت دنيـا ولا مـال تحضـرني لـو وقـع حملـي ولا مـال
يبني يا جاسم خابت اظنوني ولا مال وبوقـت الضـيق يبنـي اگطعـت بيّـه

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُون[1]}.

إنَّ اللهَ عزَّوَجَل يُؤَكِّدُ لَنا أنَّ كلَّ عبادِه صغيرِهم أو كبيرِهُم، ذَكَرَهُم أو أُنْثاهُم، فقيرَهُم أو غنيِّهُم، سوفَ يموتُون ومِنْ دونِ أيّ إستثناء، فلا مفرَّ ولا مهربَ من تَذَوُّقِ الموتِ والقبرِ، فكما يقول الشاعر:

الموتُ كأسٌ وكلُّ الناسِ شارِبُه | والقبرُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخِلُه

فليتَ شِعْري بعدَ الموتِ ما الدَّار

فالموتُ بعقيدَتِنا الإسلاميةِ هوَ الإنتقالُ من عالمِ الدُّنيا إلى عالمِ البرزخ، ووصَفَ أميرُ المؤمنينَ عليّ (ع) الدُّنيا بِقولِه: "الدنيا دارُ ممرٍ والآخرةُ دارُ مقرٍّ".

وهذا يعني أن موتَ الإنسانِ لا يعني فناءه، بل بفلسفةِ الموتِ ينتقلُ من دارٍ إلى دارٍ ويسافرُ من عالَمِ الدُّنيا الفاني إلى عالمِ الآخرةِ الباقي، فعلينا أن نعملَ الصالحاتِ ونزرعَ الخَيْراتِ في مَمَرِّنا الدُنيَوي، لِنحصِدَ الحَسناتِ في مَقرِّنا الأُخَروي، "فالدنيا ساعةٌ فاجْعلُوها طاعة". وهُنا يأتي معنى تَذوُّقِ الموتِ واخْتِلافُه من نفسٍ لأُخرى، فخروجُ الرُّوحِ من الجسدِ يكونُ حسبَ أعمالِ الإنسانِ في الدنيا، فمِنَ العدلِ أنْ يكونَ خروجُ الروحِ العاصيةِ لأمرِ اللهِ والعاملةِ بالمعاصي، والمُرتكبةِ للذنوبِ، والمُخالفةِ لطاعَتِه، وخاصةً أخواتي من

[1] سورة العنكبوت: ٥٧

ترك الصلاة الواجبة مِنْكُنَّ، وأهْمَلَتْ صِيامَها، ونَسِيت حجَّها، وخلَعَت حِجابَها عن رأسِها، ولبِست الثِّيابَ المُبتذلة، وتبرَّجَت وتزيَّنت لغيرِ زَوجِها، وإستَمَعَت إلى الغناءِ والمُحرَّمات، وشرِبَت الخَمْرَ وتناولَت المخدِّر، وأفسَدت في الأرضِ، واذَتِ الناسَ بيدِها ولسانِها وفَتَنَت بينهَم، كلُّ هذه المعاصي والذنوبِ سوف تتذوَّقُها بالعذابِ الذي لايمكنُ وصفُه عندَ خروجِ روحِها ونزولِها في قبرِها، الذي يُنادي: أنا بيتُ الوِحْشَة.. أنا بيتُ الظُّلمة.. أنا بيتُ الوِحْدة.. أنا بيتُ التُّراب.. أنا بيتُ الدُّود..أنا بيت العقاربِ والأفاعي.. أنا روضَةٌ من رياضِ الجنَّة أو حُفْرةٌ من حُفَرِ النيرانِ. فمن هُنا حقاً يمتازُ المُؤمنُ عن الفاسقِ، والمطيعُ عن العاصي، وعندَ الموتِ يُكرَمُ الإنسانُ أو يُعذَّبُ ويُهانُ. فالمؤمنُ المطيعُ للهِ المصلِّي والصائِمُ والحاجُّ والقارِئُ للقرآنِ، والمُصلِحُ بينَ الناسِ، والذي عاشَ في حياتِه مُطيعاً لله، وعاملا للصالحاتِ يَسْتبشِرُ بالموتِ، لأنَّهُ راحةٌ ورحمةٌ لهُ ولقاء بربّه وفوزٌ بجنَّتِه. فموتُ المؤمنُ راحةٌ لهُ من الدُّنيا وهمِّها وغمِّها، فالمؤمنُ المُطيعُ لربِّه يعشَقُ الموتَ وينتظِرُه، لأنَّه حصادُ الأعمالِ الصالحةِ، ونيلُ الدَّرجاتُ العُلْيا، ودُخولُه الجنَّة ،وتُناديه الملائكةُ وترحِّبُ بهِ:

{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي [1]}.

[1] الفجر: ٣٠

ولنعودَ إلى كربلاءَ لنعرفَ كيفَ يتذَوَّقُ الموتَ القاسِم بِن الإمام الحسن (ع) وعلى صِغَرِ سِنِّهِ بحيثُ عُبِّرَ عنهُ أنَّهُ لم يَبلُغَ الحُلُمَ (كان عمرُه حوالى ١٢ أو ١٣ سنة)، كان مُتهيّئاً لِنُصرةَ عمِّهِ الحسين ومُتدرّباً على القتالِ كالفرسانِ والشجعانِ، وليس عجيباً أمرُه إذْ أنَّه ابن الحسن وجدُّه أميرُ المؤمنين وتربّى في حِجْرِ الحُسين، فغَدا كاملاً في أخلاقِه وإيمانِه وثَباتِه، وقُدوةً للعارفينَ والسالكينَ إلى اللهِ في عِشْقِهِ للشهادةِ، يَسألُه الحسينُ (ع) عندما أرادَ القاسمُ أن يعرفَ هل هو في جُملةِ مَن يُرزقوا الشهادة -كما بشَّرَ بها الإمامُ الحسين أصحابَه ليلةَ عاشوراء -، فقالَ له الحسين: ولدي قاسم كيف تجدُ طَعْمَ الموتِ؟ قالَ: يا عمّاه، واللهِ الموتُ بينَ يديكَ عندي أحلى منَ العسلِ، فبشَّرَهُ الحسينُ بالشهادةِ وأنَّهُ في جُملةِ من يكونَ لَهُم هذا الفوز وهذه السعادةُ معَهُ من الشهداءِ.. ولذلكَ بعدَ أن قُتلَ أصحابُ الحسين (ع) يومَ عاشوراء وبرزَ للقتالِ أبطالُ بني هاشم، وقُتلَ عليٌّ الأكبر وجُملَة من شبابِ بَني هاشم، وسمِعَ القاسم نِداءَ عمّه الحسين: واغُربتاه، واقلَّة ناصراه، أمَا مِنْ مُعينٍ يُعيننا؟! أمَا مِنْ ناصرٍ ينصُرُنا؟! أمَا مِنْ ذابٍّ يَذُبُّ عنّا؟!

خرجَ القاسمُ إلى عمِّه الحسين قائلاً: لبّيكَ سيِّدي يا عمّ يا أبا عبد الله، فلمّا نظرَ إليه الحسينُ (ع) وكان أشبهَ بأبيهِ الحسَنَ (ع) اعتنقَه وجعلا يبكيان حتّى غُشِيَ عليهما (ولعلَّ هذا الوداع لم يحصل إلّا مع القاسم) فلمّا أفاقا طلبَ القاسمُ المبارزة فأتى الحسين (ع) فقالَ: يا عمّاه لا طاقةَ لي على البقاءِ وأرى بَني عُمومَتي وأخوَتي مجزَّرين، وأراك وحيداً فريداً، فقالَ له الحسين (ع): يا ابْنَ

أخي أنت الوديعة من أخي... فلم يزلْ القاسمُ يُقبِّلُ قدمَيْ عمِّه ويَديْه، فقالَ له الحسينُ: بُنَيْ قاسم أراكَ تَمْشي إلى الموتِ برِجلَيْكَ، قالَ وكيفَ لا يكونُ ذلكَ وأنتَ بقيْتَ بينَ الأعداء وحيداً فريداً لا تجدُ ناصراً ومعيناً روحي لروحِكَ الفداءُ ونفسي لِنفسِكَ الوقاء، عندها قالَ له الحسينُ: بُنَيْ قاسم إليَّ إليَّ، فدَنَا منه القاسم، فجاءَ به الحسين إلى الخيمةِ وأتى بصندوقِ الإمامِ الحسنِ المسمومِ الذي فيهِ ودائِعهُ وملابسُه ولامَةُ حربِهِ، فأخرجَ الحسينُ ملابسَ الحسن وعمامَتَهُ وسيفَهُ وقلَّدَ القاسمَ السَّيفَ، وقطَعَ العمامةَ نِصفَينِ وأَدْلاها على وجهِهِ، ثمَّ أَلْبَسَهُ ثِيابَه على صورةِ الكَفَنِ، ثمّ قالَ ولَدِي قاسم أُبْرُزْ (ولكن قبلَ ذلك ودِّع أُمَّك وأخواتِكَ) وما أصعبُها من ساعةٍ.

(نعي):

لزمت ركابه سكينة	وعمته بحلقه تشمه
ومن الخيم مدهوشة	طلعت تنادي أمه
يبني يا جاسم هالوقت	حالك لعمك ضمه
لها اليوم أنا ذاخرتك	مالك تخيب ظنوني
(قالها) أوصيك يمه وصيه	تسمعين لفظ اجوبي
شبان لو شفتيهم	بالله ذِكري شبابي
محروم من شمّ الهو	من دون كل صحابي
عطشان أنا يا والده	حين الشرب ذكريني

وتوجَّهَ القاسمُ نحوَ الميدانِ ودموعُهُ جاريةٌ على خدَّيْه، وهو يقاتلُ قتالَ الرجالِ الأبطالِ الشُّجعانِ، فأنْكَرَهُ بعضُهُم وصاروا يتساءلون من هذا الفتى الذي يُقاتلُ قتال الأبطالِ، فأنشأَ يقولُ:

إِنْ تُنْكِرُونِـــي فَأَنـــا نَجْـــلُ الحَسَـــنْ	سِـبْطِ النّبِـيِّ المُجْتَبَـى والمُـؤْتَمَنْ
هَـــذا حُسَـــيْنٌ كَالأَسِـــيرِ المُـــرْتَهَنْ	بَـيْنَ أُنـاسٍ لا سُـقُوا صَـوْبَ المُـزُنْ

يقولُ حميدُ بْنُ مُسلم: خرجَ علينا القاسمُ ووجْهُه كفِلْقَةِ قَمَرٍ طالعٍ، بيدِه السَّيفُ يضربُ بهِ قُدُماً قُدُماً، وعليهِ قميصٌ وإزارٌ وفي رجليهِ نعلان، فبينما هو يقاتلُ إذ انقطعَ شِسْعُ نعْلِه، فوقفَ لِيشُدَّها. وكان عُمرُ بْنُ سعد إلى جانِبِهِ، فقالَ: واللهِ لأَشُدَّنَّ على الغلامِ، ولأُثْكِلَنَّ بهِ أُمَّه، قلتُ: يا هذا يكفيكَ ما به وقد إحْتَوَشُوه من كلِّ جانبٍ ومكانٍ، قالَ: واللهِ لأفْعَلَنَّ، فشدَّ على الغلامِ فما ولَّى حتّى ضربَ الغلامَ بالسَّيفِ على رأسِه، فَفلَقَ هامَتُه، فخرّ إلى الأرضِ صريعاً ينادي: عليكَ منّي السَّلام يا عمّاه، أدركني..

فجاءَه الحسينُ كالصقرِ المُنْقَضِّ على فريسَتِه، فرَّقَ الأعداءِ عن مصرعِ ابْنِ أخيهِ (رَحِمَ اللهُ المُنادي واقاسِماه وا مَظلوماه) وجَدَهُ يفحَصُ الأرضَ بيدَيْهِ ورِجْلَيْهِ، نادى: بُنَيَّ قاسم! عزّ واللهِ على عمِّكَ أن تَدْعُوَهُ فلا يُجيبُكَ، أو يُجيبُكَ فلا يُعينُكَ، أو يُعينُكَ فلا يُغْني عنك، بُعداً لِقَوْمٍ قتلوك، ومن خَصْمُهُم يومَ القِيامَةِ جَدُّكَ وأبوكَ، هذا يومٌ واللهِ كَثُرَ واتِرُه وقلَّ ناصِرُه.

(عاشوري):

بكـا اونـاداه يـا جاسـم اشـبيدي آه آه | يريـت السـيف قبلـك حـزّ وريـدي
هـان الكـم تخلـوني اوحيـدي آه آه | او علـى اخيمـي يعمـي القـوم تفتـر

ثمَّ إنَّ الحسينَ (ع) وضعَ صدرَه على صدرِ القاسم، وحملَه إلى المخيَّم -ساعدَ الله قلبكَ يا أبا عبد الله- (تقولُ الروايةُ: حَمَلَهُ ورِجْلاهُ تَخُطّانِ في الأرضِ)، لم يُطِقْ الحسين أنْ يحمِلَ القاسم مُسْتَوِياً؛ لأنَّ المصائبَ التي مرَّت عليه خاصّةً مُصيبةُ القاسم أحْنَت ظهرَه.

(أبوذية):

ضـلع احسـين علـى القاسـم محنـه | يعمـــي ابموتتـــك زادت محنـــة
شـــاله احســـين وبدمـــه محنـــه | آه اشـــلون حـــال أمّـــه الزكيـــة

وجاءَ الحسينُ بالقاسمِ إلى الخيمةِ التي فيها عليٌّ الأكبر، وضعَهُ إلى جنبِه، فجعلَ ينظرُ تارةً إلى وجهِ الأكبرِ وإلى وجهِ القاسمِ تارةً أخرى، وهو يكَفْكِفُ دموعَه بكُمِّهِ، وتَمَدَّدَ بينهُما، وأخذَ يُقبِّلُهُما ويَنادي (واولداه واعليّاه، واقاسِماه وابن أخاه).

شـاله لخيمتـه ويسـكِب دمـع عينـه | وقعد مـا بـين شِبله الأكبـر وبينـه
نِـده وصـاح يـا رملـه وسـكينه | تعـالن للعزيـز واشـوفن اشـحاله

صارَ الحسينُ ينظرُ إلى ولدِه عليٍّ الأكبر القتلى حَولَه مِنْ أهلِ بيتِه، ورفعَ طَرْفَه إلى السماءِ وقالَ:اللهمَّ أحْصِهِمْ عَدَداً، ولا تُغادرُ منهم أحداً، ولا تَغفِرُ لهم أبداً، صبراً يا بني عُمومَتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتُم هواناً بعدَ هذا اليومِ أبداً.

(نعي):

يـــا شـــبان بـــالله لا تونّـــون | او بـــونينكم قلبـــي تكطعـــون
تصـــدعون قلبـــي المـــن تحنـــون | شـــبان مثـــل الـــورد يزهـــون

وســـفه علـــى الغبـــرة ينـــامون

ساعدَ اللهُ أمَّه رَمْلَة لمَّا نظرَت إلى ولدِها الوحيدِ مشقوقَ الهامةِ مخضّباً بدَمِه، أَلْقَت بِنَفْسِها عليه مُناديةً: واولداه، واقاساه:

(نصّاري):

امبـارك مـا بـين سـبعين ألـف جـابوك | عـــن الحنـــه ابـــدما الـــراس حنـــوك
ابـــدال الشـــمع بالنِّشـــاب زفُّـــوك | املـــبَّس فـــوق راســـك نبـــل تنثـــر
ربيتـــك يـــا عينـــي وعينـــي بعينـــك | واتنطّـــر لعرســـك واحســـب ســـنينك
تاليهـــا يـــا جاســـم اســـمع أنينـــك | واشـــوفك دايـــر ابشخصـــك خيالهـــا
جـابوك يبنـي اولا عرفتـك مـن الجـروح | يـا شمعة البيت اوزهرتـه اوفرحـة الـروح
عگب الفرح يا حيف تالي العمر بالنوح | أگضّـيه يبنـي لا عسـن ظليـت بعـدك
يـا لبيـدي افرشـلك كنـت يبنـى وأغطِّيـك | نـايم علـه التربـان هِسّـه اولا نفـس بيـك

(تخميس):

مُـــرَمَّلاً مُـــذْ رَأَتْـــهُ رَمْلَـــةَ صَـــرَخَتْ | أَيَـا مُهْجَتِـي وَسُـرورِي يـا ضِيا بَصَرِي

لو يرضه منّي الموت والله ابروحي أفديك

نسألُكَ يا اللهُ و نُقسِمُ عليكَ بمحمدٍ وآلِ محمدْ، إغفِر لنا وارحَمنا وعافنا واعْفُ عنَّا، وأصلحْ حالنا، وأغفِر ذنبَنا، وارحَم موتانا وشاف مرضانا، وأقض حوائِجَنا وأحسن عاقبة أمرنا، اللهمَّ إننا نُقسِمُ عليك بالقاسمِ بْنِ الحسن، أُرْزُقنا الراحةَ عندَ الموتِ والمغفرةِ قبل الحساب وعنده، وارْزُقْنا في الدُّنيا زيارة أهل البيت (ع) وفي الأخرةِ شفاعَتَهُم يا أرحمَ الراحمين.